

تعليقات (١٤٢٥)
الشيخ صالح السحيمي
على
«القواعد الأربع للشيخ محمد عبد الوهَّاب»

النُّسخة الإلكترونية الثانية

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه أجمعين.

وبعد؛ قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّأَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ.

هذه المقدمة العظيمة التي افتتح بها الشيخ وهي: الدعاء، وهذه سنة؛ أن يدعو المسلم بين يدي درسه أو حديثه أو خطبته أو في كتابه أو في ختامه، والرسول ﷺ فعل هذا؛ وكان يدعو للمسلمين، وكان يوجههم إلى ما فيه الخير، فكون الداعية أو الشيخ أو العالم يبدأ بمثل هذه الدعوات المباركة؛ وهو سؤال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أن يتولأك أينما كنت، فمن تولاه الله فلا غالب له، ﴿إِنْ نَضُرُوا اللَّهَ يَضُرْكُمْ وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٧) ﴿[محمد]﴾، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ [المائدة].

فحسبك أن يكون الله وليُّك ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوَّلِيَاءُ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وولاية الله ﷻ لا تنال إلا باتِّباع السنة، واتِّباع هدي المصطفى ﷺ، فلا تنال ولاية الله بغير ذلك، لا تنال بالممارسات الرياضية الصوفية، ولا تنال بتكليف نفسك ما لا تطيق مما لم يأمر به الله، ولا ما لم يأذن به، ولا ما لم يبينه رسوله ﷺ، مما يتدعه المبتدعون، ويروجه المروجون، إنما تنال ولاية الله بالسَّير على هدي كتابه وسنة نبيه ﷺ.

ثم دعا بـ (وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ)، ومن رزقه الله البركة فحسبه بها من بركة، فنسأل الله أن يجعل لنا ولكم نصيباً من هذه الدعوات المباركة التي بدأ بها الشيخ.

ثم دعا بدعوة ثالثة، وهي أن يجعلك الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أخِي الْمُؤْمِن (مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ)، هذه الكلمات الثلاث هنَّ عنوان سعادة البشر، أي بشر على وجه الأرض إذا لم يتصف بهذه الصفات الثلاث فهو شقي.

إذن عنوان السعادة: الشكر عند النعماء، والصبر عند البلاء، والاستغفار من الذنوب، هذه عنوان السعادة، فينبغي للمسلم أن يجتهد في أن يكون كذلك.

إذا رزقه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- نعمة شكر الله بالاستقامة على طاعته والعمل بما يُرضيه، وأعظم نعمة يجب أن نشكر الله عليها هي أن هدانا للإسلام، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والشكر سبب لديمومة النعمة، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧) ﴿[إبراهيم]﴾، فالشكر إنما يكون بامثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، هذا هو دليل الشكر.

قال: (وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ) وصف الله المؤمن بوصف عظيم في حال السراء والضراء، في حديث النبي

ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»^(١) فلا بد من الشكر عند النعماء، والصبر عند الضراء، ولأهمية الصبر فإن منزلته كمنزلة الرأس من الجسد، ولذلك ذكره الله في القرآن في أكثر من تسعين آية، لذلك فإنه لا بد من الصبر على طاعة الله، ولا بد من الصبر عن معصية الله، ولا بد من الصبر على أقدار الله، وهذه أنواع الصبر الثلاثة التي لا بد أن يتحلى بها المؤمن.

قال: **(وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ)** من طبيعة البشر الذنوب، كل البشر يذنبون، وتصدر منهم الذنوب، والعصمة للأنبياء - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فإنهم لا تصدر منهم الكبائر، والكمال لله ﷻ وحده؛ لكن المؤمن الحق هو الذي إذا أذنب استغفر.

وانظر ما وصف الله به المؤمنين في آل عمران ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالْعَظِيمِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ ﴿

وهذا هو الشاهد ﴿أُولَٰئِكَ جَزَّاءُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّةٌ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيَعْمَلُونَ أَجْرًا عَمَلِينَ﴾ (آل عمران)، الذنوب من طبيعة البشر «كلكم خطاؤون وخير الخطائين التوابون»^(٢) ويقول - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أيضا: «لو لم تذنبا لخلق الله أقواما يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم»^(٣) فالذنوب من طبيعة البشر؛ ولكن المصيبة هي الإصرار على الذنب.

أما الذي صدر منه شيء فعليه أن يرجع إلى الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف)، ﴿إِذَا أَذْنَبْتَ يَا أَخِي الْعَبْدَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ، تَذَكَّرْ أَنَّ لَكَ رَبًّا يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، وَأَنَّهُ يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَقْبَلُ تَوْبَةَ التَّائِبِينَ﴾ ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر).



(١) أخرجه مسلم، حديث رقم (٢٩٩٩).

(٢) أخرجه الترمذي، حديث رقم (٢٤٩٩)، أخرجه ابن ماجه، حديث رقم (٤٢٥١)، قال الشيخ الألباني: حسن.

(٣) أخرجه مسلم، حديث رقم (٢٧٤٨).

اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِبَطَاعَتِهِ - أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ؛ وَبَذَلَكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ [الذاريات].
فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّى صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَّارَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكَ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدِثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَّارَةِ.
فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ، عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ؛ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكَ بِاللَّهِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]، وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ.

هذه مقدمة للقواعد التي سيبينها الشيخ فذكر الحنيفية التي هي ملة إبراهيم عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ ﴿٥٦﴾ [البينة]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٣٠﴾ [آل عمران]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٣٠﴾ [النحل]، والحنيفية هي الميل إلى طريق الهدى والسعادة، وهو الميل إلى الاستقامة وما يرضي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهي ملة إبراهيم الخليل عليه السلام، وحقيقتها أن تعبد الله مخلصا له الدين، وهذا لا يتحقق إلا بأمرين:

• إفراد الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بالعبادة.

• ونبذ عبادة الطاغوت. ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا

أَنْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٥٦﴾ [البقرة].

ومعلوم أن الحكمة من خلق الجن والإنس إنما هي عبادة الله ﷻ كما قال جل وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات]، وهذه العبادة لا تتحقق إلا بأن تُصرف كلها لوجه الله ﷻ وأن يفرد الله ﷻ بها، وهذا لا يتحقق إلا بالبعد عن الشرك؛ لأن الشرك ضد العبادة، فلا يتحقق إلا بالبراءة من الشرك وأهله، كما حكي الله تعالى عن إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٣٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ. لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف]، فلا بد من أن يفرد الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بالعبادة، ولا يتحقق ذلك إلا بالسلامة من الشرك، والشرك قد يكون أكبر وقد يكون أصغر، وقد يكون خفيا وقد يكون جليا، وقد يكون ظاهرا وقد يكون باطنا، وقد يكون في الربوبية، وقد يكون في الألوهية، وقد يكون في الأسماء والصفات، وهو أخفى من ديبب النمل في ظلمة الليل، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة، فيجب أن نحذر منه، وإذا كان إبراهيم الخليل عليه السلام قد خاف من الشرك فمن يأمن البلاء بعد إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي

وَبَيَّنَ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ [إبراهيم]، فالشرك أخوف ما يكون على العبد؛ لأن بعض أنواعه أعمال قلبية لا يطلع عليها كل أحد، لا يطلع عليها إلا الله وحده، فبعضه يكون في القلوب؛ قد يكون بالخوف، وقد يكون بالرجاء، وقد يكون بالإجابة إلى غير الله جل وعلا، وقد يكون بالتوكل على غير الله، وقد يكون بالتعلق بغير الله، وقد يكون يكون كل الأعمال نفاقا ورياءً، وكل هذا لا يعلمه إلا الله وحده، ولذلك كان الخوف منه أشد من غيره؛ لأنه ذنب لا يغفره الله لمن مات عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] فعلى المسلم أن يتفقد نفسه وأن يحذر من الشرك؛ لأنه أخطر من جميع الذنوب.

تجد شخصا الآن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويصلي، ويزكي، ويصوم، ويحج، ويفعل كثيرا من الطاعات؛ لكنه ينقض هذا كله بكلمة أو بفعل.

مثال الكلمة لو أن هذا الشخص يصوم وينطق بالشهادتين ويزكي ويفعل جميع الطاعات لو أنه قال لمخلوق - سواء كان نبيا، أو ملكا، أو عبدا، أو صالحا، أو حجرا، أو مدرا، أو شخصا حيا كان أو ميتا -: أغثني يا فلان، أنقذني يا فلان، أنا في حماك يا فلان. فيما لا يقدر عليه إلا الله. ما حكم هذه الأعمال كلها؟ كلها باطلة، كل الذي فعله ذهب هباء منثورا؛ ﴿وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ إِذْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ رَسُولَهُ وَفَضَّلَهُمْ عَلَى كُلِّ بَشَرٍ إِلَّا قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [الفرقان]، ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر].

فانتبهوا - يا إخواني - ما أكثر الشريكات في بلاد المسلمين، اليوم، وهي سبب تفرقهم، وسبب تباعدهم، وسبب فرقة قلوبهم، فضلا عن أجسامهم.

إذا وجدت مسلما له شيئا يطوف به ويحج إليه ويطلب منه المدد ويطلب منه الغوث والعون؛ أنا سمعت في بعض البلاد الإسلامية التي تعاني من الأعداء ومن احتلال الأعداء، ومع ذلك نسمع في إذاعاتهم الاستغاثة بغير الله، فمن أين النصر؟ واحد يقول: أغثنا يا صلاح الدين. صلاح الدين يُغثك؟ هذا يجعلك لا تغاث، النداء هذا يجعلك لا تغاث. أعطنا يا فلان، يا صلاح الدين، حتى ولو قلت: أنقذني يا رسول الله، هذا الشرك بعينه الذي لا يغفره الله لمن مات عليه.

فانتبهوا يا إخواني، هناك أشياء يتساهل بها الناس، ويظنونها هيئة ﴿وَتَحْسَبُونَهَا هَيْئَةً﴾ والمغرب^(١) تجد شخصا يصوم ويصلي ويزكي وإذا به فجأة يسب الله ورسوله، نسمع في بعض البلاد الإسلامية - وللأسف - أول ما تدخل تسمع سب الله ورسوله، من أين تريد النصر والتمكين وأنت تسب الله ورسوله، وتسب دين الله، حتى ولو غضب على سيارته قال لها: يلعن دينك البعيدة. ما هو دينها؟ أولا هي ليس لها دين، فأنت تسب دينك من حيث لا تدري.

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم (٦٤٧٧)، ومسلم، حديث رقم (٢٩٨٨).

فانتبهوا الشرك خطير جدا، لا تظنوا أن المسألة سهلة، بعض الناس يقولون: المسلمون الآن يضطهدون في كل مكان، وأنتم تتكلمون عن الشرك. والله سبب اضطهادهم ما هم فيه من شرك وبدع وخرافات وبُعدٍ من الله، سبب اضطهادهم ما هم فيه من إفراط أو تفريط فهم على قسمين:

* قسم مفرطون، ملاحدة، متنكرون للدين، لا يأتَمرون بالمعروف ولا ينتهون عن منكر، تجدهم يتنكرون لأوامر الله، يستهزئون بالدين، يستهزئون بأهل الدين، يستهزئون بمن يدعو إلى الدين، يسبون أهل الدين، ويتهمون بهم ويتنكرون عليهم، يستهزئون بالسنة، ينشرون في صحفهم ما يندى له الجبين من الإلحاد والفجور والمجون، وسب الله ورسوله، والتهكم بالدين. هذه طائفة.

* طائفة أخرى غلت، تستمطر النصر من أصحاب القبور، وتنادي أصحاب الأضرحة، مدد يا فلان، أعطني يا فلان، وهذا لا يعني أن الخير مفقود، الخير موجود والله الحمد، والأمة بخير، والأمة شيئا وشبابا فيهم الخير الكثير؛ لكن يحتاج إلى صدق مع الله ﷻ وإلى عودة إلى الله ﷻ، ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، فأخطر ما يكون على الأمة هو الشرك؛ دعاء غير الله، دعاء الموتى في قبورهم، الطواف بقبور الموتى، استمطارهم الرحمة، اللجوء لهم، الخوف منهم خوف السر؛ عندما يخافون من الموتى في قبورهم أن يفعلوا بهم شيئا من دون الله ﷻ. هذا هو الشرك.



القاعدة الأولى

أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَدْخُلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَنْقَوْنَ﴾ [يونس]

هذه القاعدة الأولى أن الإقرار بتوحيد الربوبية أمر قد فطر به أكثر الناس، حتى المشركين، فقوم نوح، وقوم عاد، وقوم صالح، وكفار قريش، كلهم يقرون بأن الله هو الخالق الرازق. هذه القاعدة الأولى من القواعد الأربع أن كثيرا من المشركين، ومنهم كفار قريش، وكذلك قوم نوح، وقوم عاد، وقوم هود، وغيرهم؛ بل أكثر المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية؛ يعني يعتقدون أن الله خالقهم ورازقهم ومالكهم وبارئهم والمتصرف فيهم، وأنه هو الذي يحيي ويميت، وبيده الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله، غير أن هذا الإقرار بتوحيد الربوبية، لم يكونوا به مسلمين؛ لأنهم جحدوا لازمه وهو توحيد الألوهية، جحدوا أن يكون الله تعالى هو المستحق للعبادة، فلما جحدوه ما نفعهم هذا الإقرار.

قبل ذلك ذكر الشيخ دليلا -والأدلة كثيرة- فقال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، هذا الإقرار لا ينفعهم وحده؛ لأنهم كفروا بلازمه وهو كون الله معبودا ومستحقا للعبادة، ولذلك كفار قريش ما أنكروا الربوبية؛ بل أنكروا الألوهية قالوا: ﴿أَجْعَلِ لِلْأَلْهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، وقد ربط الله بين هذين الأمرين في آية البقرة وغيرها من الآيات؛ في آيتين من سورة البقرة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١] الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٢٢]، أولا أمر بالعبادة ثم بين الأدلة التي بها يستحق العبادة ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وهو الذي بارك في هذا الماء، وهو الذي أنبت النبات ثم ختم الآية بقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٢٢] أي إذا علمتم أن الله ﷻ هو الذي أوجد ذلك كله، ورزقكم، وخلقكم، ومن عليكم، فعليكم أن تفردوه وحده، وأن لا تجعلوا له أندادا، والند هو المثل والنظير والشبيه، فإن الذي خلقنا ورزقنا وأحيانا ويميتنا، هو القادر على إحيائنا مرة أخرى، هو المستحق للعبادة وحده دونما سواه.

إذن هذه القاعدة خلاصتها أن أكثر المشركين يقرون بتوحيد الربوبية؛ لكنه لا ينفعهم لأنهم ما عبدوا الله؛ بل ذبحوا لغير الله، ونذروا لغير الله، واستغاثوا بغير الله، وتوكلوا على غير الله، وطلبوا الهدى من غير الله، فما أشبه الليلة بالبارحة.

كذلك الآن شأنهم شأن أصحاب القبور في هذا الزمان؛ الذين يستمطرون منهم الرحمة والمغفرة

والبركة؛ بل إنهم وصلوا إلى درجة تفوق شرك الأولين؛ لأنهم - كما سيأتينا في القواعد الأخرى - كانوا يلجؤون لله تعالى في الشدة ويشركون به في الرخاء، وهذا عين التناقض لو كانوا يفقهون.

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يوفقنا وإياكم لما فيه رضاه، وأن يصلح أحوال المسلمين، وأن يجمع كلمتهم على الحق وأن ينصرهم على عدوه وعدوهم نصراً مؤزراً، وأن يجمع كلمتهم على الحق، وأن يعيدهم إلى تحكيم شرعه، وإلى سنة المصطفى ﷺ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

القاعدة الثانية

أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا لَطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ.
فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٢٥].

وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةُ مَنْفِيَّةٍ، وَشَفَاعَةُ مُثَبَّتَةٍ.
فَالشَّفَاعَةُ الْمُنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ.
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].
وَالشَّفَاعَةُ الْمُثَبَّتَةُ هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللَّهِ، وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الْإِذْنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه أجمعين.
أما بعد؛ القاعدة الثانية أن هؤلاء الذين أقروا بتوحيد الربوبية وأقروا بأن الله خالقهم ورازقهم ومالكهم والمتصرف في أمرهم، يلجؤون إلى غير الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بدعوى أن ذلك الذي يلجؤون إليه يكون شفيعا لهم عند الله، وأنهم يتقربون به ويتوصلون به إلى الله ﷻ، ويظنون أن ذلك يقربهم إلى الله زلفى.

والقسم الآخر يتخذون شيوخهم شفعا؛ يشفعون لهم عند الله.
وقسم ثالث يدعون أن هذا من أنواع التوسل فقط، والتوسل ستحدث عنه إن شاء الله في غير شرح هذه القواعد، ستحدث عنه بتفصيل ما يجوز منه وما لا يجوز.

ودليل تعلقهم بدعوى أنه قرابة ما حكاه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عنهم في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٢٣]، يعني يتخذونهم وسائط بينهم وبين الله، بدعوى أن العمل الذي يتقدمون به لا يصل إلى الله إلا عن طريق هؤلاء الشيوخ، ولذلك فإنهم يتخذونهم وسطاء؛ يذبحون الذبائح، ويقدمون القرابين، وينذرون النذور. ويقولون: نحن نريد بها وجه الله؛ لكن هذا الشيخ يوصلها -على حد زعمهم- إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وهذا عين الباطل، وهذا هو

الشرك الذي وُجد في قوم نوح ومن جاء بعدهم.

فإذا قلت لأحدهم: لماذا تذبح لصاحب هذا القبر أو الضريح؟ ولماذا تنذر له؟ ولماذا تقيم له الأعياد والموالد؟ ولماذا تضع له الصناديق والستور التي ترمى فيها النقود، ليأكل أولئك الزبانية أموال الناس بالباطل؟

يقول لك: إن هذه الأعمال لا تصل إلى الله إلا عن طريق هذا الشيخ، وقد عَزَزَ في أذهانهم بعض طواغيت الطرق أن من لم يتخذ شيخا بينه وبين الله، فإن عمله لا يصل إلى الله، فيقولون: من لم يكن له شيخ، فشيخه الشيطان، فنحن نقول له: من اتخذ شيخا يعبد من دون الله، ويتوسل به، ويستشفع به، وينذر له، ويذبح له، هذا هو الذي شيخه الشيطان.

وجعلوا الإسلام طرقا وأحزابا وشيعا، والله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يقول: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام]، فالإسلام جماعة واحدة لا جماعات، وطريق واحد لا طرقا، وحزب واحد لا أحزابا، وأمة واحدة لا أمما، ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون: ٥٢]، ومن جَوَزَ تعدد الجماعات في الإسلام فقد أعظم على الله الفرية، فلا يجوز اتخاذ جماعات متناحرة، كل واحدة تختط لها طريقا معيناً تتعبد عليه، ومن أعجب استدلالاتهم ولعبهم بالنصوص الشرعية استدلالهم بقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالْوِاسْتِقْمَٰمُ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن]، ما المقصود بالطريقة؟ الطريقة هي الإسلام؛ هدي الرسول ﷺ وأما أن يُستدل بهذا على جواز تعدد الطرق، فإن هذا من أعظم الافتراءات على الله، ومن أعظم التحريف للقرآن.

والصنف الثاني يدعون شيوخهم للشفاعة، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، قال الله تعالى رادا على ذلك: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

والشفاعة على قسمين: شفاعاة مثبتة وشفاعة منفية.

الشفاعة المنفية: هي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، وهي المنفية في قول الله جل وعلا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِي يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٥٤﴾﴾ [البقرة]، قول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾، وقول الله تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفَاعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨]، وهي الشفاعاة الشركية التي تطلب من المخلوقين بغير قيد ولا شرط.

الشفاعة المثبتة: وهي ما توافر فيها شرطان:

الأول: إذن الله للشافع كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والثاني: الرضا عن المشفوع له، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فقد جمع الله بين الشرطين في سورة النجم في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمٰوٰتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَن بَعْدَ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٦١﴾﴾.

فالشفاعة ثابتة بهذين القيدَين وهذين الشرطين، إن لم يتحققا فإنها شفاعَة منفية. ولعل الحديث عن الشفاعَة يطول لو أردنا أن نتحدث عن أقسامها، فلعله يُرجأ إلى وقت آخر إن شاء الله؛ لكن الخلاصة أن نفهم شروط الشفاعَة، وهو أنه لا بد فيها من أمرين: إذن الله للشافع.

ورضاه عن المشفوع له بأن يرضى الله قوله وعمله. هذه القاعدة تتطلب معرفة الشفاعَة المثبتة والشفاعَة الباطلة المنفية. وأضرب مثلاً لكم بجملتين متقاربتين إحداهما شفاعَة شركية، والأخرى شفاعَة قائلها موحد تماماً، هما جملتان متقاربتان تتعلقان بالحبيب المصطفى ﷺ. فلو أن مسلماً قال: اللهم شفّع فيّ نبيك ﷺ، اللهم ارزقني شفاعَة نبيك ﷺ، اللهم اشملي بشفاعَة نبيك ﷺ، اللهم لا تحرمني من شفاعَة نبيك ﷺ، اللهم اجعلي ممن ينتفع بشفاعَة نبيك ﷺ. هذه الجمل ما حكمها؟ توحيد محض؛ لأنك طلبت الشفاعَة من الله وحده. لكن لو أنّ واحداً وقف الآن - كما هو حال بعض الناس - عند القبر فقال: الشفاعَة يا رسول الله. هذا شرك محض، لماذا؟ قلنا: إن كلمة (الشفاعَة يا رسول الله) شرك محض، وقلنا: إن (اللهم شفّع فيّ نبيك) توحيد محض، لماذا؟ لأن الشفاعَة التي ينطق بها أهل التوحيد، هم يطلبونها من الله ﷻ، أما أولئك يطلبونها من المخلوق، والرسول ﷺ لا يستشفع به على أحد، ولا يستشفع من المخلوق على الخالق ﷻ. لذلك يجب التنبه، فالشفاعَة لا تطلب من النبي مباشرة، وإنما تطلب من الله - تبارك وتعالى - هذا هو الأدب مع الله ومع رسوله ﷺ.



القاعدة الثالثة

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَى أَنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ؛ مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَشْجَارَ وَالْأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَفَرِّقْ بَيْنَهُمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَنِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وَدَّلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٣٧) ﴿فُصِّلَتْ﴾.

وَدَّلِيلُ الْمَلَائِكَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠].

وَدَّلِيلُ الْأَنْبِيَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (١١٦) ﴿الْمَائِدَةُ﴾.

وَدَّلِيلُ الصَّالِحِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وَدَّلِيلُ الْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُرَى﴾ (١٩) ﴿وَمَوَئِدَ النَّارِ الْأُخْرَى﴾ (٢٠) ﴿[النجم]، وَحَدِيثُ أَبِي وَقْدٍ اللَّيْثِيِّ ﷺ، قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَنَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنْوُطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ...» الحديث^(١).

هذه القاعدة العظيمة تبين أن باب الشرك واحد أيًا كان، كل ما يُتعلق به من دون الله، وكل ما صرف له أي نوع من أنواع العبادة يعتبر شركاً لله تبارك وتعالى، فالذبح لغير الله، والنذر، والصلاة، والصوم، والحج، والإنابة، والاستغاثة، والاستعانة.. أي نوع من أنواع العبادة إذا صرف لغير الله تبارك وتعالى فإنه شرك بغض النظر عن المدعو، وسواء كان المدعو: نبياً، أو ملكاً، أو عبداً صالحاً، أو حجراً، أو شجراً، أو مدراً، أو أي مخلوق على وجه الأرض إنساناً كان أو حيواناً أو نباتاً أو جماداً؛ لأننا نحن ننظر إلى وضعه بالنسبة للعابد، بغض النظر عن حال المعبود، أما المعبود قد كون نبياً أو ملكاً أو عبداً صالحاً بريئاً ممن يعبد؛ ولكن بالنسبة لمن يعبد هو الذي تتعلق به الأحكام.

والنبي ﷺ بعد أن دعا المشركين إلى عبادة الله وحده أكثر من خمسة عشر سنة، وبعد أن قويت شوكة المسلمين، عند ذلك قاتل المشركين جميعاً، سواء كان منهم من يعبد الأنبياء أو من يعبد الملائكة أو من يعبد الأشجار أو من يعبد الرجال الصالحين، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَقَنِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَقَنِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا

(١) أخرجه الترمذي، حديث رقم (٢١٨٠). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. قال الشيخ الألباني: صحيح.

يَقْنِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴿التوبة: ٣٦﴾، والقتال يكون بشروطه ومقوماته التي سبق أن أشرنا إليها أكثر من مرة؛ أعني الجهاد، لا بد أن تكون قد هيئت الظروف التي هيأ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لك ما تتمكن به مع الجهاد: من إذن ولي الأمر، وإذن الوالدين، والقوة والشوكة والمنعة والإخلاص لله وحده، وكون ذلك الجهاد لا يعود بأمر عكسي على الإسلام والمسلمين، وغلبة تحقق النصر، والاستقامة قبل ذلك كله على طاعة الله جل وعلا؛ لأن الخوف على المجاهدين من المعاصي أكثر من الخوف عليهم من هزيمة العدو؛ لأن المعاصي هي أكبر معول يؤدي إلى الهزيمة.

لذلك فإن الواجب على المسلم أن لا يأخذ فتاوى في هذا الباب إلا عن العلماء الربانيين -أعني في مسألة الجهاد- أما الغوغائية الموجودة الآن، وما يدعو إليه بعض الجهلة من جهاد مزيف، لا يقوم على إخلاص، ولا على شوكة، ولا على منعة، ولا على إذن إمام، ولا تحت راية التوحيد، هذه فوضى، وأما تقتيل المسلمين وترويعهم وتسمية ذلك جهادا فإن ذلك أعظم إجرام على وجه الأرض، هذا الذي يفعله المجرمون الخوارج، الذين يستحلون دماء الأمة وأموالهم، ويتربصون بهم الدوائر، وكما قلت غير مرة: قدموا خدمة لليهود لم يقدمها اليهود لأنفسهم؛ يعني قدم هؤلاء أدعياء الجهاد المزيف الذي يذبحون المسلمين في كل مكان ويسمون ذلك جهادا، هذا جهاد في سبيل إبليس، ولا يخدم إلا الشيطان وأعداؤه الشيطان، فالجهاد لا بد له من الشروط والمقومات التي ذكرتها.

وقوله: (قوله تعالى: ﴿وَقَنِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كَلَهُ﴾ لله... ﴿الأأنفال: ٣٩﴾). بعد أن تنهيا جميع الشروط واللوازم والظروف التي يتمكن معها المسلمون من الجهاد، وإلا فالجهاد باقٍ إلى يوم القيامة؛ ولكن ليس الجهاد القائم لدى بعض الفئات والجماعات التي يفتيهم بعض الجهلة الذين أحدهم أجهل من حمار أهله ويتصدر للفتوى، وقد ورط شباب المسلمين فيما لا قبل لهم به، واستغل جهلهم وسذاجة بعضهم، واستغل بعد بعضهم عن علمائهم فصار يهرف بما لا يعرف، ويدعو الناس إلى جهاد ليس هو الجهاد الذي أمر به الله ورسوله ﷺ.

فلا بد أن نتنبه لهذا الأمر حتى لا نقع في الخطأ، الفتوى لا تؤخذ عن أي شخص، وإنما تؤخذ عن العلماء الربانيين، الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، الذين يدعون إلى هدي الكتاب والسنة، وليسوا الذين فقط يحكمون عواطفهم في الدين فيفتون بغير علم فيضلون ويضلون.

أما دليل مسألة الشمس والقمر وأنه لا يسجد لهم، ويسجد إلا لله وحده، قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت]. هو وحده المستحق للسجود، فلا نسجد لشيخ، ولا لصنم، ولا لوثن، ولا لولي، ولا لملك، ولا لنبي، ولا لأي مخلوق كان على وجه الأرض. وأما دليل أن الملائكة يطاعون ولا يعبدون، قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران]، فالله أمركم باتباعهم لا باتخاذهم آلهة، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، دليل الملائكة قول الله ﷻ: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ

تَنَاجِدُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا ﴿٢٠﴾

ودليل تحريم التعلق بالأشجار والأحجار قول الله ﷻ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم]، أي قسمة خاسرة، إذا قسّمتم فجعلتم لله الإناث ولكم الذكور، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ ﴿١٩﴾ [الزخرف].

والخلاصة في هذه القاعدة أن كل ما عبد من دون الله من ذبح، أو نذر، أو صلاة، أو صوم، أو حج، أو إنابة، أو استغاثة، أو استعانة، أو استعاذة، أو خوف، أو رجاء، أو محبة.. كل ذلك يُعتبر عبادة لغير الله ﷻ، لا فرق بين أن يكون المعبود نبيا، أو ملكا، أو عبدا صالحا، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٢٥]، فهو لاء الصالحون نجبهم ولكن لا نعبدهم ولا نصرف لهم شيئا من أنواع العبادة التي لا تصرف إلا لله؛ لأن الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يجب إفراده بالعبادة، ولا تصح العبادة إلا إذا أفردت لوجه الله ﷻ، بإخلاص العمل لله وحده، والاقتداء بالنبي ﷺ في أقواله وأفعاله وتقريراته.



القاعدة الرابعة

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكَاً مِنَ الْأَوَّلِينَ؛ لِأَنَّ الْأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ وَيُخْلِصُونَ فِي الشَّدَةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِماً فِي الرَّخَاءِ وَالشَّدَةِ.
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

هذه القاعدة تدل على أن مشركي الزمان الأول أهون شركاً من مشركي هذه الأزمان، والكل شرك أكبر، ومع ذلك فالشرك دركات كما أن النار دركات وكما أن الجنة درجات، فالمشركون القدامى من عهد نوح إلى من بعث الله فيهم نبينا محمداً ﷺ، هم إذا كانوا في وقت الرخاء والأمن والطمأنينة يسجدون لأصنامهم ويذبحون لها وينذرون لها، وربما جاعوا فأكلوها، يعجن تمره ويجعلها إلهاً فإذا ما جاع أكلها؛ لكن إذا ألمت بهم الملمات ووصلوا إلى الضنك والشدة، فإنهم ينسون تلك المعبودات كلها، ويلجأون إلى الله ﷻ، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، الفلك يعني السفينة، إذا ركبوا رأوا الرياح ورأوا الأمواج تذكروا الله، فإذا نجاهم إلى البر رجعوا إلى غيهم وإلى عبادة غير الله.

بخلاف عبادة القبور في هذه الأزمنة فإنهم يلجأون إليها في الشدة والرخاء معاً؛ بل إن لجوئهم إليها في وقت الشدة أكثر؛ بدعوى أنهم ينقذونهم من تلك الورطات التي هم فيها، ولذلك يقول قائلهم: إذا أعيتكم الأمور فعليكم فيكم بأصحاب القبور. وماذا يملك أصحاب القبور، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

إذن هؤلاء الذين يتعلّقون بالقبور في بعض البلاد الإسلامية تجدهم يتعلّقون بها حتى في أوقات الشدة، فإذا أصابهم ما أصابهم ذهب إلى ضريح فلان، وقال: مدد يا فلان، أغثني يا فلان، أعطني يا فلان، أنا في حماك يا فلان، أنا في رجائك يا فلان، وهذه الطريقة لا توجد حتى في الجاهلية.

إذن الأمر أخطر الآن بالنسبة لمشركي هذا الزمان، الأمر في غاية الخطورة؛ لأنه يصيبه رعب إذا وقف عند الشيخ، ولذلك أنا أظن أني ذكرت لكم مرة قصة ذلك الذي أرادوا أن يحلفوه في المحكمة على المصحف فحلف أيماناً مغلفة أنه ما سرق، ولما أرادوا منه الاعتراف أخذوه عند قبر الشيخ فأبى أن يحلف واعترف بالسرقة، بذلك فإن الشيخ في نفسه أعظم من الله تبارك وتعالى.

ولذلك يجب التنبه لهذا، ونصح إخواننا الذين يقعون في هذه الأمور جهلاً منهم، أن يناصرحوا بالتي هي أحسن، بالحكمة فالموعظة الحسنة، وينبهون إلى أهمية الارتباط بالله ﷻ، والاعتماد عليه والتوكل عليه في كل شيء.

وبهذا نكون قد انتهينا من هذه القواعد الأربع، ولعلنا نستأنف كتاباً آخر إن شاء الله، المرشح من أخلاق الرسول ﷺ لفضيحة شيخنا الشيخ عبد المحسن العباد البدر إن شاء الله،

سؤال: هل يعذر الناس بالجهل في مسائل الشرك؟

الجواب: مسألة العذر بالجهل في مسائل الشرك لأهل العلم فيها قولان:

قسم يرون أن من كان في بلاد المسلمين أنه لا يعذر.

وآخرون يقولون: إذا لم تقم عليه الحجة، وتتضح له، وتوضح له، وتزال عنه الشبهة، فإنه يكون معذورا عند ربه.

وأحيلكم على كتاب شيخنا الشيخ عبد المحسن العباد البدر حفظه الله الجديد بعنوان بشروط الصلاة تتطرق فيه إلى هذه المسألة، وتكلم فيه بما لا مزيد عليه، فهذه المسائل ترجعون فيه إليه وإلى غيره من علماء الأمة.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجعلنا وإياكم ممن يسمع الكلام فيتبع أحسنه، وأن يتقبل منا وإياكم الصلاة والقيام، وأن يجعلنا من عتقائه في هذا الشهر الكريم، وإنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.